

## نافذة

## المعهد بن عباد الملك والحب

عرف المعتمد بن عباد في التراث العربي بحكاياته المعبرة والمؤلمة في الوقت نفسه، فهو الأمير الذي اختلف فيه المؤرخون، من ماحد له، ومنهم من رآه مفراطاً في حق الدولة ومقصراً ومبذراً، واختلفت حوله حكايات كثيرة في بعضها رائحة الصدق والحق، وفي أغلبها يظهر نسج القصص الذين صاغوا القصص المؤثرة والمشوقة، وما نسجه حوله القصص وبالغوا في تضييمه (يوم المسك) إذ يقال: إن المعتمد بن عباد أحب جاريته الجميلة اعتماد الرميكية، وتزوجها وأنجب منها، وكان يهيم بها ويدلها ولا يرفض لها طلباً، وجعلها سيدة على مملكته، وذات يوم ماطر اشتهد اعتماد أن تغوص قدمها في الطين كما النسوة اللواتي تراهن من شرفة القصر، لكن المعتمد الحاكم والسيد والعاشق أبى أن تكون اعتماد زوجته كسائر النسوة، فأمر بالتراب والمسك والعنبر، وقام بمزجه ومد على أرض القصر لتدوسه اعتماد بقدمها الغاليتين عليه، ويبالغ القصص فيقولون: إن حفل الطين هذا استهلك أموال الدولة كلها، ولكن المعتمد كان سعيداً، واعتماد كانت مغتبطة بما فعله المعتمد..!

وبما أنه لا شيء يدوم على حاله، فقد جاء ابن تاشفين، وبدعوة من الملوك، ومنهم المعتمد، وسبق المعتمد بن عباد أسيراً بتهمة تشبه تهمة الفساد في أيامنا، ونفي إلى الصحراء المغربية، وفي منطقة قاسية تدعى (أغمات) وفيها عاش المعتمد فقيراً معدماً على صدقات الناس، وإثاماً لرواية مخرومة يقول الرواة: إنه لما ضاقت الحال بالمعتمد وأسرت، قالت له اعتماد: والله لم أر منك يوماً حلواً! فقال لها: ولا يوم المسك؟! فاستحت وخفضت نظرها، وهذا هو الجزء الوجداني الذي صيغ للاعتاظ، وقد يكون حقيقة، وقد لا يكون، لكن سياقه يجعله مقبولاً في إطار عدم حساب الإنسان للقدر وتصاريه، وليس في إطار نكران المرأة وتكرها كما يريد كثيرون الإشارة إليه في هذه القصة!

قد تلطم امرأة وقد تلطم فيمن تحب، ولكن ليس من حق أحد أن يخلط القصة التي تناسبه، أو التي عاشها ليلسقطها على شخصية تاريخية بوزن المعتمد بن عباد واعتماد الرميكية! قلت قد تكون هذه القصة مقبولة في إطار الحديث عن الهدر والتبذير ونم الحاكم الذي يتبع هواه، وخاصة إذا ما عدنا إلى ديوان المعتمد وشعره ف نجد جوهرة ووداداً واعتماداً وكثيرات من الجوارى اللواتي كن يحطن بالمعتمد ومحط اهتمامه وعزله وأعطياته! ولكن إذا ما عدنا إلى الحاكم والحب، وإلى المعتمد واعتماد فإننا نجد شيئاً مختلفاً، وعندما سبق المعتمد إلى أغمات مأسوراً لم نعد نجد لجوهرة ولا لوداد ولا لأي جارية أثر في حياته، وبقيت اعتماد معه تدنو شظف العيش، فلو كانت متكررة كما يقولون فإنها ليست بحاجة حياة الذل والفقر، ولولا الحب ما كانت اعتماد سلوته الحقيقية والوحيدة.

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً وكان عيدك باللذات معموراً وكنت تحسب أن العيد مسعدة فسأءك العيد في أغمات مأسوراً ترى بناتك في الأطمار جامئة في لبسهن رأيت الفقر مسطوراً يطان في الطين والأقدام حافية تشكو فراق حذاء كان موقوراً

قد لوئت بيد الأقدار واتسخت كأنها لم تطأ مسكاً وكافوراً هذا مما قاله المعتمد حين كان مأسوراً، فإماداً كانت عنده اعتماد؟

أدار النوى كم طال فيك تلدي وكم عفتي عن دار أميف أعيد خلقت به لو قد تعرض دونه

لجردت للضرب المهند فانتفضى مراني وعز ما مثل جد المهند فما حل خل من فؤاد حليله

كل اعتماد من فؤاد محمد يعري نفسه من إمارته وألقابه، ويبقى باسمه المفرد محمد أمام الحب وأمام اعتماد التي دفعها حبها للمعتمد أن يسير معه إلى منفاه وسجنه في أغمات، لتعمل في خدمة الناس وتلبية متطلبات الحياة القاسية، وربما كانت إشارة المعتمد إلى أقدام بناته والمسك وراء نسج القصص حول يوم المسك والطين، وهي صورة طبيعية أن يقولها الشاعر الملك الذي نزل من عليائه طوعاً لتوحيد بلاد الأندلس، فوجد نفسه أسيراً مأسوراً يعامل معاملة النخاسة، ولكنه على كل حال بقي محتفظاً بالحب وبعتماد حتى مات مأسوراً في أغمات.

تفاوتت آراء النقاد في النظر إلى حكاية المعتمد، فمنهم من يرى أنه جلب ذلك إلى نفسه بالهدر والاستهتار، ومنهم من يراه فضيلة للفساد، ويأته غدر به وبنياته، وهذا التفاوت يعرض في أغلبه إلى قصة عشقه لجاريته اعتماد الرميكية، وما أسقط على السياسة نزل في ساحة الحب الكبير الذي حمله لاعتماد، والتي يحاول الكثيرون تجاهل بقائها مع المعتمد حتى في الأسر والفقر، ولولا الحب ما فعلت ذلك، وأصل إلى ما أرتد الحديث عنه من اختيار المعتمد والحب، أو الحاكم والحب، إذ يعرف القارئون أن ما جرى في الأندلس في تلك الحقبة من تاريخنا لم يقف عند المعتمد بن عباد، بل نال أغلب الحكام والملوك، وهناك ملوك كثيرون قبله، فلم نسمع بمن جاء قبله أو من عاصره أو من جاء بعده، لأنه كان حاكماً وحسب، أما المعتمد، فقد كان حاكماً وحالماً ومحباً وأديباً، وما جرى معه وصلنا ليس لأنه وضع المسك والعنبر وخلطه بالتراب، بل لأنه شاعر امتلاً إحساساً وشاعرية سواء كان فاسداً أم صالحاً، لكن شعره وأحاسيسه هي التي جعلته خالداً أبداً وباقياً ومذكوراً! وكل ذلك لم يأتنا من وداد أو جوهرة، بل جاء من عشقه الكبير لاعتماد، وهو يرى ثقل قدمها وأصابع القدمين، لها وبناتها في أغمات، وكأنه يحن إلى بخور ومسك كانت تنفثه هذه الأصابع ذات يوم!

قالوا: إن المعتمد كان فارساً يبذل عشرة أفراس في القتال لأنها تتعب وهو لا يتعب..! وقالوا: إنه كان قائداً وملكاً من الأهمية بمكان، لكن كل ذلك ذهب وبقي الجوهر الحب وحده صنع لنا تاريخ الأشخاص المميزين ولا شيء سواه، ذهب حكمه وسيرته، وبقي حبه وحزنه علامة النيل الكبير.

ولو كانت صاحبة يوم المسك لقاتلت له: أنسحب من حياتك أيتها الملك المأسور، وأتركك لأسرك ولبنتائك وحياتك، وربما تمت له أسراً سعيداً، لكنه الحب الذي حولها إلى نور عي وسلوة روح وشريكة فقر ونهاية رحلة..

لم تنسحب لأنها المسك نفسها!

إسماعيل مروة

## للعشق في دمشق مقامات تروي سيرة سلطان العارفين محيي الدين ابن عربي

## أحمد إبراهيم أحمد لـ«الوطن»: لسنا بصد توثيق بل نطرح حكاية درامية تروي مقتطفات من حياته



سارة سلامة - ت: طارق السعدوني

رغم انخفاض درجات الحرارة في قلب العاصمة دمشق اتجهنا غرباً إلى يعفور (كفر قوق) لعلها أكثر وأقوى برودة. لتكون باستقبالنا الجبال المسكوة بياضاً، سلكتنا طريقنا إلى موقع تصوير مسلسل «مقامات العشق» في مدينة الباسل (كتابة الدكتور محمد البطوش، وإخراج أحمد إبراهيم أحمد.

العمل يروي قصة الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي على الرغم مما قد تحدثه هذه الشخصية من تبعات، فهي شخصية غريبة في التاريخ قسمت العلماء والفقهاء قسمين منهم من يحبه فيراه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، ومنهم من يراه الشيخ الأكبر. ولقد ضمت

## تقديم الفكر الثير المتسامح

وفي حديثه إلينا يطلعنا المخرج أحمد إبراهيم أحمد عن تفاصيل العمل وحبه للصوفية التي جعلته يندفع بشدة نحوه: «نتناول فكر ابن عربي وليس توثيقاً لحياته، حيث بدأنا بولادته انطلاقاً من الأندلس وتعتبر تلك المرحلة الرئيسية في مدينة مرسية، وانتقاله بعدها إلى إشبيلية لاحقاً ومن ثم عودته إلى مصر والمغرب العربي وتونس ومكة ولاحقاً يذهب إلى العراق وتركيا وبعدها يستقر ويموت في دمشق بعمر ٧٨ عاماً. وفي الحقيقة لا نستطيع تغطية كل مراحل حياته في مسلسل واحد. ولكننا طرحنا ٣ مراحل رئيسية، مرحلة الأندلس ومرحلة مكة التي بدأ فيها كتابة الفتوحات المكية حتى المرحلة الثالثة وهي دمشق، التي عاش فيها لسنوات، وأخذ فترة زمنية ليست قليلة في كتابة مجموعة الفتوحات المكية حتى وفاته فيها».

وأضاف أحمد إننا «لسنا بصد توثيق حياة ابن عربي بل نطرح حكاية درامية تعرض خلالها مقتطفات من حياته، والمراحل الرئيسية التي عاشها ونسلط الضوء عليها ونقدم فكره الثير الجذاب المتسامح الذي يدعو إلى المحبة كما هو معروف بعكس الفكر الإنفائي والإنفصالي الذي يحمله المتشددون مثل «داعش» و«جبهة النصرة»، ومن فن لفهم. وتركز على فكره وتقبله للآخر وتسامحه الذي يحتاجه اليوم لتزليل أي فكر شكله التطرف والتشدد».

أما عن الذين يكفرون هذه الشخصية فيقول أحمد: «من يكفر هذه الشخصية ناس متزمتون ومتشددون، ولسنا بصد إلغاء أي فكر أو إقصاء اعتقاد لأي مذهب من المذاهب، إنما نطرح فكر ابن عربي الذي يدعو إلى تقبل الآخر فالحياة بالنسبة له كما تلك الموقولة «إن خير الأديان هي كل الأديان» لأن الأديان هي من عند الله عز وجل».

ويبين أحمد أن «لدي اطلاعاً جيداً على المتصوفة وتحديداً شخصية محيي الدين ابن عربي، وقرأت عنه كثيراً قبل العمل وعشت أدق تفاصيله. لأن جدي كان متأثراً به، وهذا ما دفعني للانجذاب لهذه الشخصية منذ سنوات. لذلك عندما عرض علي فكرة المسلسل كانت محببة إلي جداً والمخرج يكون سعيداً عندما يقدم مادة يحبها».

وفي الحديث عن مواقع التصوير فيقول أحمد إن: «من الصعب الذهاب للأندلس والتصوير هناك نتيجة أمور لها علاقة بالسفر، فقمنا ببناء قصور قريبة جداً من الواقع مثل قصر ابن رشد الذي يؤدي شخصيته الممثل عاكف نجم. ولكل عمل تاريخي خصوصية وفي (مقامات العشق) لسنا بصد عرض فترة تاريخية موقنة ولا يوجد أي صراعات، إلا أننا نقدم مادة فكرية تتميز بها الشيخ الأكبر وهو من الناس الخيرين، لذلك لا توجد بالعمل صبغة لها علاقة بالمعارك والقتال بل صبغة فكرية».

## فكر ابن عربي

وأطلعنا المؤرخ أحمد المفتي أكثر عن حثيثا

## يوسف الخال: مؤهل لتكون في البيئة التي ربيت بها من ناحية الأم والأب وهي بيئة ليست بعيدة عن الثقافة

## شاهدة على العصر

وتقوم النجمة نسرين طافش بأدوار شخصية ست الحسن التي جاءت من مملكة أرغون بهمة قتل على ابن عربي فقع في حبه لما رأته من تسامح ومعقد ومعاملة حسنة جذبتها لتعشق هذه الشخصية فتتخلى عن مهنتها وتصبح متصوفة ترى الوالد وابنه حتى أواخر حياته في دمشق. وتشرح طافش عن تفاصيل شخصيتها أكثر وتقول «هي استثنائية بكل المقاييس حتى بتربيتها النفسية، وتم بمراحل عمرية متفاوتة وهذا ما يشكل تحدياً، وهي شاهدة على العصر والرواية للأحداث منذ البداية حتى النهاية وشاهدة على عصر ما قبل ولادة ابن عربي».

وأما النجمة قمر خلف فإنها تقوم بشخصية نور والده محيي الدين ابن عربي زوجة علي وتتصارع الغيرة في ذاتها من ست الحسن ثم تتفاهم العلاقة ما بين الحب المادي والحب الروحاني. وتبين خلف أن «الشخصية تتر أربع مراحل عمرية بكل تفاصيلها الزمنية من ٢٥ عاماً إلى ٩٠ عاماً، وهي تجربة مغرية لأي فنان لأنها تتضمن مراحل مختلفة». كما تجسد النجمة نادين خوري شخصية فاطمة القرطبية حين تقول لنور زوجة علي أنت أمه الترابية وأنا أمه الروحانية.

ويؤدي مصطفى الخاني دور (مارتل-الشيخ حامد) التي تحمل التطرف والتشدد والتكفير حيث تدور الأحداث من بداية العمل إلى نهايته ضمن صراع فقري بين الخير والشر بين فكر ابن عربي وفكر الوهابية والتطرف الذي يملكه الشيخ حامد.

## جهد ويحث كبيران

ومن جانبه أطلعنا مصعب الديكور أدم مناوي عن الحقبة الزمنية التي رجع لها: «قمت بالإستعانة بأحد المجلدات من المكتبة الظاهرية وكنت أراجع إلى المؤرخ أحمد المفتي في تثبيت ما أراه، وقرأت عن حياة ابن عربي الكثير، ولأنه شخصية عظيمة تطلب ذلك منا جهداً وبحثاً كبيرين والعودة بالديكور إلى تلك الحقبة، من زخارف وزليج والجدران وبناء المساجد والأسواق وبيداتنا تحضيراً في أواخر العام الفائت، واستمرت مرحلة البحث مدة شهر كامل وبعدها دخلنا مرحلة الأندلس وهي المرحلة الأصعب في العمل، واستعنت ببعض المخطوطات لإنجاز الديكور من السوق وقصر ابن رشد وبيت علي والد محيي الدين، وبيوت بعض الشخصيات إضافة إلى مجلس القضاء الذي كان موجوداً، ومن ثم انتقلت إلى مرحلة أخرى وهي بناء مكة في منطقة (دير علي) ومرحلة أخرى في اللاذقية ودمشق كمساجد وبيوت شامية».

من كتب سيرة جميلة ورائعة. لأن العلماء يتقسمون فريقين منهم بين من يراه مؤمناً وآخرون يرونه زديقاً وكافراً ونحن في العمل نعرض أفكاره من دون أن نقول هذا صحيح أو خطأ إنما نبحت عن ابن عربي بالذات وعماً قاله».

## لست بمكان غريب

النجم يوسف الخال الذي التقيناه في موقع التصوير يخبرنا عن دوره من خلال شخصية علي والد ابن عربي ويقول: «أجسد من خلال شخصيتي ثلاث مراحل، أولها مرحلة البحث عن الحقيقة والعلم والثقافة، والمرحلة الأخرى نشاهد كيف تختصر الحكايات ويرزق بولد يرى فيه نوراً معيناً وتوقاً للحقيقة والتعمق والتجلي، ويضع كل ثقافته بقلب ابنه وبعدها يكمل ابنه الطريق، ويتطلب مني هذا الدور الاطلاع على الشخصية من خلال مراجع وأسئلة كثيرة واستفسارات عن حثيثا الشخصية ونقاشات حدثت مع الكاتب والمخرج والمحققين والديني السورية أشعر أنني جئت إلى منطقة من لبنان ولا أشعر أنني سافرت، لأن سورية ولبنان جسد واحد ولا فرق بينهما عندي أبداً ولعنتي أكون هنا سعيداً أكثر».

## شخصية لها مكرمة

وتشرح الفنانة سارة فرح شخصيتها في العمل قائلاً: «أجسد شخصية عتاب وهي فتاة ذكية وجميلة ولديها حشوية كبيرة تجعلها تتدخل بأدق تفاصيل بيت ابن عربي، وهو دور محوري، ولها مواقف جميلة، من ضمنها الأمانة فهي فتاة يوثق بها. ويعتبر ابن عربي العمل التاريخي الأول لي». وتضيف فرح إن: «الاسم هو الذي دفعني لأداء هذه الشخصية في البداية وشعرت بأنه قريب مني لأن

## أحد المفتي: العمل يحمل فكر ابن عربي ويسلط الضوء على حرية الفكر والبعد عن التطرف

